نوادر أبي نواس

الطبعة الأولى

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع ش عبدالسلام عارف مع ش الهادى
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

نـــوادر أبـــى نـــواس

إعداد
د. شوقي شفيق

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع ش عبد السلام عارف مع ش الهادى
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

فى هذا الكتاب

مجموعة من النوادر المنسوبة إلى أبى نواس والتى انتقيناها لك - عزيزى القارئ - من كتب التراث الأدبى العربى التى خلّفها لنا أدباء كبار أمثال الأصمعى والأبشيهى وابن عبد ربه والبغدادى وابن الجوزى وغيرهم . .

ونرجو أن يكون فى تلك النوادر ، التى وقع عليها اختيارنا ، ما تجد فيه متعة وتسلية ، والله الموفق .

مصطفى وهبه

سلِّمنى إلى غيرِ هذا ليجلدنى !

جىء بأبى نواس ورجل آخر مقبوضًا عليهما ، وَمَثُلا أمام الخليفة هارون الرشيد ، ليقضى فى أمرهما . وكانت تهمة أبى نواس هى السُكر وشُرب الخمر فى عرض الطريق ، وتهمة الرجل كانت الزندقة والكفر .

فقال الرشيد لمنفِّذ الحدود :

ـ اضرب عنق هذا (وأشار إلى الرجل المتهم بالزندقة) . . واجلد شاعرنا السِكير ثمانين جلدة (وأشار إلى أبى نواس) . فارتعدت فرائص أبى نواس ، وصاح قائلاً :

ـ يا أمير المؤمنين . . إن كان ولابد من عقابى ، فسلِّمنى إلى غير جلادك هذا ليجلدنى ، فلست آمن غلطه ، فيضرب عنقى ، ويجلد الزنديق . . والغلط في هذا لا يعالج !

فضحك الرشيد ، وعفا عنه ، واكتفى بضرب عنق الزنديق .

* * *

كيف ينبغى للشعر أنْ يقال ؟!

التقى أبو العتاهية بأبى نواس ، فقال له :

ـ أنت الذى لا تقول الشعر إلا والأزهار والرياحين بين يديك ؟!

فقال له أبو نواس :

ـ وكيف ينبغى للشعر أن يُقال إلا هكذا ؟!

فقال : أبو العتاهية :

ـ إنى والله لأقولنَّه فى أى حالٍ ، حتى وأنا بالكنيف (*) !

فقال أبو نواس :

ـ ولذلك فشعرك رائحته كريهة !

* * *

(*) الكنيف : المرحاض أو دورة المياه أو بيت الراحة .

كيف لا يدخل الشيطان دارَ مغنيةٍ ؟!

دخل أبو نواس دار « خالصة » المغنية ، فرأى مكتوبًا على الجدار إلى جانب باب الدار : « آدم وحواء » .

فسأل :

ـ ما هذا يا خالصة ؟!

فأجابته :

ـ سمعت أن الشيطان لا يدخل دارًا مكتوب فيها « آدم وحواء » !

فقال لها :

ـ يا خالصةَ .. دخل عليهما وهما إلى جوار رب العالمين فى الجنة.. فكيف لا يدخل دار مغنية ؛ تغنى وتعزف الألحان ؟!

* * *

ماذا يقول يا بديع ؟!

أرسل « هارون الرشيد » إلى « أبى نواس» يطلب منه أن يتنازل له عن جاريته « لحظ العيون » التى رآها عنده ، واستمع إلى غنائها ، فأسرته بصوتها ، وأُعجب بجمالها .

ولما وقف الرسول أمام « أبى النواس » وقال :

ـ أمير المؤمنين يقرئك السلام ، ويقول لك إن جاريتك « لحظ العيون» أعجبته ويريدك أن تُؤثره بها .

فقال أبو نواس لمولاه « بديح المليح » :

ـ ماذا يقول يا بديح ؟!

فقال له بديح :

ـ أمير المؤمنين يُقرِئُكَ السلام يا مولاى ، ويقول كيف كان منامك ليلة البارحة . . عسى أن تكون قد نمت مستريحًا !

فصاح الرسول ـ وقد أخذته الدهشة :

ـ لم أقل ذلك ! . . ولا جئت لذلك !!

فقال أبو نواس : وهو يضع كف يده حول أذنه جاعلاً منه ما يشبه

البُوق أو مكبّر الصوت .

ـ ماذا يقول يا بديح ؟!

فأعاد بديح ما قاله فى المرة الأولى . وخرج الرسول غاضبًا .

ومضى إلى هارون الرشيد ، وقال له :

ـ يا مولاى . . لقد بلَّغت « أبا نواس » رسالتك ، ولكن عنده خادم يُدعى « بديح المليح » لا أدرى أهو مجنون أم ماذا ، كان يبلغه خلاف ما أقول !

فأمر هارون الرشيد بإحضار هذا الخادم ، ولما مُثل بين يديه ، وسأله عما حدث ، أجابه :

ـ يا أمير المؤمنين ، أطال الله عمرك ، وحفظك لنا ، متى عهدك بمولاى أبي نواس لا يسمع ؟! . . إقباله علىَّ يسألنى عما يقول رسولك، وتظاهره بالصمم ، مَنْعٌ لجاريته « لَحْظ العيون » وبُخْلٌ بها. . . . كَرِهَ أن يعطيها لك ، لأنه يحبها ، ولذلك فعل ما فعل ، فما ذنبى أنا ؟!

فضحك الرشيد ، وأمره بالانصراف .

* * *

متى تموت يا أبا نواس ؟!

جاء رجل إلى أبى نوس وقال له :

ـ متى تموت وتذهب إلى الآخرة يا أبا نواس ؟

فانزعج أبو نوس وقال :

ـ وما حاجتك إلى ذلك ؟!.

فقال الرجل :

ـ لأن والدى مات منذ ثلاثة شهور وأريد أن أرسل معك رسالة له !

فنظر إليه أبو نواس وقال :

ـ ولكنى لن أمرَّ فى طريقى بجهنم ، فابعث برسالتك لأبيك مع غيرى .

* * *

صدقت .. أنا مَنْ تقول !!

طلب رجل من أبى نواس حاجة فوعده بقضائها والإتيان بها إلى باب منزله بمجرد شروق شمس الغد .

وأشرقت شمس الغد ، وجلس الرجل ينتظر أبا نواس ، ولكنه لم يحضر حتى غربت الشمس.

وقابله الرجل مساء اليوم التالى مصادفةً فى الطريق ، فقال له :

ـ إننى لم أر فى حياتى إنسانًا أكذب منك ، ولو يعلم أميرنا ما تنطوى عليه نفسك من كذب ونفاق ، لجعلك قاضيا للمنافقين .

فقال أبو نواس :

ـ صدقت . . أنا مَنْ تقولَ . . فهاتِ ما عندك مِنْ دعوى أقضى لك فيها .

* * *

والله إن دجاجتك وهى ميتة أطول عمراً !

ألح « أبو الحارث » على صديقه أبى نواس فى الغداء معه ، فذهب معه أبو نواس ، راجيًا الله أن يخيِّب ظنه ؛ إذ كان يعلم جيدًا مما يرويه الناس عن « أبى الحارث » أن الرجل به بعض البخل .

وبعد أن جلس « أبو نواس » أمام الطعام ، وجلس«أبو الحارث » ، إذا بغلام أبى الحارث يُقبل عليهما وفى يده طبق به دجاجة مشوية ، وضعها أمامهما .

فانتفض « أبو الحارث » وكأن عقربًا لدغه ، وصاح قائلاً للغلام بحدة :

ـ ما هذا ؟! . . كان ينبغى أن تأتينا بها فى أول الطعام . . هيا . . ارفعها ، واغرب عن وجهى ! فرفعها الغلام ، وقد قهره سيده ، فى حين تحسَّر « أبو نواس » ونعى حظه السيئ . . وفى اليوم التالى . . أبى « أبو الحارث » إلا أن يشاركه أبو نواس الغداء ، ليعوِّضه عما حدث بالأمس .

فذهب معه « أبو نواس » مُرغمًا . . ولما جلسا إلى مائدة الطعام ، وشرعا يأكلان ، إذا بنفس الغلام يأتيهما بنفس الدجاجة .

فسارع « أبو الحارث » إلى القول :

ـ يا لك من غلام بطيء الفهم ! .. ألم أقل لك بالأمس أن الدجاجة إنما تكون فى أول الطعام ؟! .. هيا .. ارفعها .. وانصرف.

فرفعها الغلام ، وانصرف .. في حين كانت نظرات أبى نواس ، معلقة بها .

ثم قال أبو نواس ـ بعد أن كاد ينفجر من الغيظ :

ـ والله إن دجاجتك هذه ، التى ليس لنا نصيب فيها أمس واليوم ؛ لأطول عمرًا وهى ميتة منها وهى حية !!

★ ★ ★

أتدعونى إلى أكلة شهية حتى أنحنى وألتهمها؟!

قُبِضَ على أبى نواس وهو فى حالة من السُكْرِ شديدة ، وحبسه العسكر يومًا وليلة حتى يفيق من سُكْرِه ، وينظروا فى أمره .

ولما بلغ هارون الرشيد أمره ، أمر بإحضاره إليه ، ولما حضر ووقف أمامه ، أمر الجلاّد أن يصفعه على وجهه صفعة واحدة قوية . وكان هذا الجلاد قصيرًا ، فقال لأبى نواس .

ـ انحن قليلاً حتى أصفعك .

فقال له أبو نواس :

ـ يا لك من غبى بليد . . أتدعونى إلى أكلة شهية حتى أنحنى لها وألتهمها ؟! . . والله إِنْ استطعت أن أكون أطول من ذلك الآن ، لما تأخرت أبدًا .

فضحك الرشيد ، وأمر جلاده بتركه ، وعفا عنه .

★ ★ ★

لّما رآكَ استحى منك فاحْمَرَّ خجلاً !

قابل هارون الرشيد أبا نواس فى الطريق ، وبيده زجاجة نبيذ كبيرة، فاستوقفه وقال له :

ـ ما هذا الذى بيدك يا أبا نواس ؟!

فأجابه :

ـ هذا لبن يا أمير المؤمنين !

فنظر هارون الرشيد إلى الزجاجة بإمعان ، وقال :

ـ عجبًا يا أبا نواس . . إن اللبن أبيض ، وهذا الذى فى الزجاجة أحمر !

فنظر أبو نواس إلى الزجاجة وقال :

ـ نعم يا أمير المؤمنين . . ما تقوله حق ، ولكن اللبن لما رآك استحى منك فاحْمـرَّ خجلاً .

فضحك هارون الرشيد وقال :

ـ أنت أخبث مَنْ رأيت يا أبا نواس . . اغرب عن وجهى !

★ ★ ★

عذر أقبح من ذنب !

طلب الخليفة العباسى « هارون الرشيد » من الشاعر « أبى نواس »، وهو يسامره ذات ليلة ، أن يعطيه مثالاً يوضح كيف يمكن للمرء أن يعتذر عن ذنب ارتكبه بما هو أقبح من الذنب نفسه . فوعده أبو نواس أن يعطيه هذا المثال ، على أن يمهله بضعة أيام . وبعد أن مرت عدة أيام ، رأى أبو نواس هارون الرشيد واقفًا عند نافذة يتأمّل جمال الحديقة أمام قصره ، فاقترب منه بخفةٍ ، وغافله وضربه بلطف على قفاه .

فالتفت إليه هارون الرشيد ، ويده على مقبض سيفه ، وقال له غاضبًا :

ـ ويلك .. كف تَجْسُرُ على فعل ما فعلت ؟

فقال أبو نواس :

ـ أرجو ألا تغضب يا مولاى .. فقد ظننتك جلالة الملكة ! فاستشاط هارون الرشيد غضبًا وقال :

ـ ويلك أيها الفاسق القبيح .. وهل تجسر على أن تفعل ذلك لجلالة الملكة ؟!

فَردَّ عليه أبو نواس :

ـ يا مولاى .. طلبت منى أن أعطيك مثالاً على العذر الذى يكون أقبح من الذنب . فضحك هارون الرشيد وعفا عنه وقَبِلَ عذره .

* * *



ما عليك إلا أن تأكل خبيثا فينزل طيبًا!!

أتى رجل إلى أبى نواس وقال له :

ـ يا أبا نواس . . أشعر بأننى مريض بجملة من الأمراض ، وأريد أن أخبرك بها . . عسى أن يجعل الله شفائى منها على يديك .

فقال له أبو نواس :

ـ قل . . عسى أن أوفق فى علاجك !

فقال الرجل :

ـ أشعر بشعر ذقني يؤلمنى . . وأشعر أن ما آكله من الطيبات ينزل خبيثًا من أسفل ، وبباطنى ظلمة !

فقال أبو نواس :

ـ أما بخصوص شعر ذقنك فعليك بالموسى . . وأما ماتأكله من الطيبات ونزل خبيثًا من أسفل ؛ فما عليك إلا أن تأكل خبيثًا لينزل طيبًا . . وأما الظلمة التى بباطنك ، فعليك بفانوس تعلّقه على باب بدنك حتى يضىء لك باطنك !

* * *

حاذِرْ يا بصرى .. !

بعد صلاة العشاء ، وبعد خروجهما من المسجد مال أبو نواس على « محفوظ البصرى » الشهير بأبى عثمان ، وقال له :

ـ أين تذهب يا أبا عثمان فى هذا البرد القارس ، وكيف ستمشى فى هذا الظلام الحالك حتى تصل إلى دارك أقصى المدينة ؟! .. ودارى كما تعلم هى دارك ، ودار كل الإخوان الصالحين أمثالك ، ثم إن لك وَحْشَةً كبيرة ، وعندى لبنًا طازجًا لم ير الناس مثله ، وتمرًا ناهيك عن حلاوته ، فمل معى نأتنس بك وتقضى معنا سواد الليل ، وفى الصباح تذهب لحال سبيلك.

فمال معه ، ودخلا الدار ، ثم غاب عنه ساعة قبل أن يعود إليه ، حاملاً فى إحدى يديه كأسًا صغيرة مملوءة باللبن ، وفى يده الأخرى كان يحمل طبقًا صغيرًا به بضع حبات من التمر .. لا تزيد عن العشر .

ومدَّ « محفوظ » يده وأخذ كأس اللبن ، وعندما هَمَّ بارتشاف رشفة منه ، وهو يهمس : باسم الله الشافى المعافى ، بادره أبو نواس بالقول :

ـ حاذر يا بصرى .. إنه لبن ! .. وهو الليل وركوده ! .. وأنت

رجلٌ قد طعنت فى السن ، ومازلت تشكو من آثار الشلل الذي أصابك فى الصيف الفائت ، علاوة على ما ينتابك من صداع نصفى ، من حين لآخر ، وأخشى ما أخشاه أن تتسبب حلاوة التمر فى عطشك الشديد أثناء الليل ، وأنت فى الأصل لست بصاحب عشاء . فإن شربت اللبن وأكلت التمر ، ولم تبالغ ، كنت كأن لم تأكل ولم تشرب . أما إنْ بالغت ، بِتْنا فى ليلة نكداء ، من الاهتمام بأمرك . وليس لدينا لمثل حالتك إذا تعقدت ـ لا قدّر الله ـ نبيذًا أو عسلاً . وأنا يعلم الله أقول لك هذا الكلام حرصًا عليك وحبًا لك ، وحتى لا تفارقنى فى الصباح، لتذهب وتقول للناس : كان . . وكان . . ووالله لقد أوقعتُ نفسى بين فكّى الأسد ، لأنى لو لم آتك باللبن والتمر الذى وعدتك بهما عند باب المسجد ، فستقول : بَخِلَ بهما ، وإن جئتك بهما ولم أحذِّرك ، فستقول : لم يشفق علىّ ولم ينصحنى ! أما الآن . . فقد برئت منك على الوجهين ! . . فإن شئتَ : فأكلة وموتة ـ كما يقولون . وإن شئتَ: فبعض الاحتمال ونوم فى سلام !

وكانت يد « محفوظ البصرى » طيلة كل ذلك الوقت الذى تكلم فيه أبو نواس ، معلقة فى الهواء ، وكف يده قابضة على كأس اللبن !

وما أن انتهى أبو نواس من كلامه وتحذيراته ، حتى غمرت «محفوظ البصرى » موجة من الضحك لم يعهدها من قبل ، وظل طيلة تلك الليلة يضحك كلما تذكر ما قاله أبو نواس ، بل كان إذا غفا قليلاً ، يصحو ويضحك ، ثم يغفو من جديد !

أيهما أفضل ؟!

سأل رجل أبا نواس :

ـ أيهما أفضل يا أبا نواس : المشى أمام الجنازة أم خلفها ؟فأجابه أبو نواس :

ـ لا تكن فى النعش وسِرْ كيفما شئت !

* * *

قَولى عندها أحسن مِنْ قَوْل امرئ القيس

قال أحدهم لأبى نواس :

- إنك لتجىء بالشىء الهجين والشعر المتفاوت فى المعنى !

فقال له : مثل ماذا ؟

قال : مثل قولك :

إذا مـا غضبنـا غضـــبةً مُضريّةً

هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدَّما

إذا ما أَعَرْنا سيـــدًا مــن قبيلةٍ

ذُرى منبرٍ صلَّى علينـــا وسلَّمـــا

وفى نفس الوقت قولك :

ربـابةُ ربـــةُ البيـــتِ

تصبُّ الخلّ فى الزيتِ

لها عشر دجاجـــاتٍ

وديكٌ حَسَنُ الصوتِ

فقال له :

ـ لكل مقام مقال .. فالقول الأول جدٌّ ، أما الثانى فقلته فى «ربابة» جاريتى . عندها عشر دجاجات وديك ، وأنَا لا آكل البيض من السوق ، وهى تجمع لى البيض وتحفظه عندها إلى أن آخذه منها . ولهذا أقول لها هذا الشعر الذى تعتبره أحسن من قول امرئ القيس :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذكرى حبيب ومنزل

★ ★ ★

أقلتُ لكَ عندى أم قلتُ : أتشتهى ؟

قال أبو نواس لصاحبه أثناء سيرهما معًا بالطريق ؟

ـ أتشتهى كذا وكذا من الطعام ؟

وذكر له أنواعًا كثيرة طيبة من صنوف الطعام ، مما يسيل لها اللعاب.

فقال له الرجل بلهفة :

ـ نعم والله ! .. إنى لأشتهى كل ما ذكرته .. خصوصًا وأن جوفى لم يدخله طعام من ليلة البارحة .

فقال أبو نواس :

ـ إذن .. فهيابنا !

وانطلقا فى الطريق حتى وصلا إلى دار أبى نواس ، وهناك ترك أبو نواس صاحبه جالسا بالفناء ، وغاب عنه لبعض الوقت ، ثم عاد إليه حاملاً فى يده رغيفين يابسين ، وبعض الكامخ (المخلل) ، ثم قال له:

ـ تفضل .. كُلْ .. بالهناء والشفاء !

فقال الرجل :

ـ وأين ما قلتَ ؟!

فقال أبو نواس :

ـ أقلتُ لكَ عندى . . أم قلتُ : أتشتهى ؟!

★ ★ ★

وما الشَيْفَرَانِ يا أبا نواس ؟!

أقبل على أبى نواس بعض أصحابه ، يجالسونه ويتمتعون بالسمر عنده، فرأوه مغتمًا ، على غير عادته ، فقالوا له :

ـ مالك يا أبا نواس . . نراك اليوم مغتمًا ؟

فقال :

ـ مات حمارى . . ثم رأيته الليلة الماضية فى منامى . فقلت له : لِمَ متَّ ؟ . . ألم أكن أحْسِنُ إليك ولا أقدم لك علفًا كافيًا ؟! . . فقال لى :

سيدى خُذْ بى أتانًا	عند باب الأصبهانى
تيّمتنى ببنانٍ	وبدَلٌ قد شجاني
تيّمتنى يوم رُحنا	بِثَناياها الحسانِ
وبغنجٍ ودلالٍ	سَلّ جسمى وبَرَانى
ولها خذ أسيلٌ	مثل خدّ الشَيْفَرانِ
فلذا مُتُّ ولو عشـ	ـتُ إذًا طال هوانى

فقيل له :

- وما الشَّيْفرانِ يا أبا نواس ؟!

قال :

- وما يدرينى ! . . هذا من غريب الحمار . . إذا قابلتوه فاسألوه !

★ ★ ★

والله لقد رفعتم الحشمة كلها !!

دخل الشيخ « فوّاز » الأعمى على أبى نواس ، وهو يأكل ، ويكاد ينتهى من الأكل . فرحب به أبو نواس ، ثم نادى على جاريته قائلا :

ـ يا هيفاء . . هاتى لشيخنا « فواز » غداءه .

فقالت هيفاء :

ـ لم يبق عندنا شىء يا سيدى .

فقال لها :

ـ هاتِ ما عندكِ . . فليس من شيخنا « فواز » حشمة !

ولم يشكّ الشيخ « فواز » فى أن الجارية ستأتيه برغيف طازج طرفه ملطخ بالإدام ، أو ببعض المرق ، علاوة على فَضْلَة شواء ، أو جناح طائر !

إلا أن الجارية أتت ووضعت أمامه طبق ليس عليه سوى رغيف يابس.

فجال الشيخ « فواز » بيده فى كل أنحاء الطبق ، إلا أنه لم يقع على شىء غير ذلك الرغيف اليابس !

.. لقد كان يعلم أن القول الذى سمعه: ليس من شيخنا فواز حشمة ، لا يكون إلا مع القليل أو البسيط .. أما أن يبلغ الأمر ذلك ، ولا يجد إلا رغيفًا يابسًا فهذا ما لم يظنه أبدًا ، ولذلك قال :

ـ والله لقد رفعتم الحشمة كلها !!

* * *

كن ابن أى طائرٍ شئتَ وانصرف عنى !

مَرّ بأبى نواس وهو جالس فى فناء داره ، أعرابى يُدعى « ابن الحمامة » وبادره بالقول :

ـ السلام عليكَ يا شاعر العرب !

فقال أبو نواس :

ـ قلت مالا يُنكر !

قال :

ـ لقد خرجت من عند أهلى على عجل ، وبغير زاد ، وأطمع فى كرمك .

فقال أبو نواس :

ـ وأنا ماضمنتُ لأهلك ضيافتك .

قال :

ـ أفتأذن لى أن أستظل بظل بيتك الوفير قليلاً ؟

فقال أبو نواس :

ـ ولِمَ بيتى . . دونك الجبل هناك . . ظله أوفر .

فقال الأعرابي :

ـ أو ما تعلم من أنا ؟ . . أنا ابن الحمامة !

فقال أبو نواس :

ـ كن ابن أى طائر شئتَ . . وانصرف عنى !!

* * *

أزنديق أنت ؟

حبس الخليفة العباسى « الأمين » الشاعر أبى نواس ، بعد اتّهامه بالزندقة . ثم دخل عليه « الفضل بن الربيع » ، الذى كان مسئولاً عن المحبوسين ، وهو فى حبسه ، وسأله :

ـ ما جُرمك حتى حُبِسْتَ هكذا . . أزنديقٌ أنت ؟!

فقال له :

ـ معاذ الله .

قال :

ـ أتعبدُ الشمسَ ؟

فقال :

ـ والله ما أجلس فيها ، لبغضى لها ، فكيف أعبدها ؟

قال :

ـ أتعبدُ الكبشَ ؟

فقال :

ـ كيف أعبده . . وأنا آكله بصوفه !

قال :

ـ أفتعبدُ الديك ؟

فقال :

ـ لا والله . . بل آكله . . ولقد ذبحتُ إلى الآن ألف ديك ، لأن ديكًا نقرنى مرة وأنا صغير ، فحفلت مِنْ يومها ألا أجد ديكا إلا ذبحته .

قال :

ـ فلأى شىء حُبِسْتَ إذن ؟

فقال :

ـ لأنى أشرب شراب أهل الجنة . (يقصد يشرب الخمر) .

قال :

ـ وأنا أفعل ذلك .

ثم تركه ، ومضى إلى الأمير ؛ وكان له دلال عليه ، وقال له :

ـ ما تحسنون جوار الله . . تحبسون مَنْ لا ذنب له ! . . سألت رجلاً فى الحبس عن تهمته فقال كذا وكذا . . .

وعرَّفه بكل ما جرى من حديث بينه وبين أبى نواس .

فضحك الأمين ، وأمر بإخلاء سبيل أبى نواس .

* * *

وما عندى إذا أتيته مظلومًا ؟! ..

قيل لأبى نواس :

ـ أتحب أن تلقى الله ظالمًا أم مظلومًا ؟

فقال :

ـ بل ظالمًا !

فقيل له :

ـ سبحان الله .. أتحب الظلم ؟!

فقال :

ـ وما عندى إذا أتيته مظلومًا وسألنى : خلقتك مثل البعير الصمحمح، ثم أتيتنى تعصر عينيك وتشتكى ؟!

★ ★ ★

وما علاقتى بذنوبكَ ؟!

مرض أبو نواس ، ولما شُفِيَ مِنْ مرضه ، ظل أيامًا مُصْفَّر الوجه . وزاره وهو على تلك الحال أحد أصدقائه فقال له :

ـ مالى أراك مُصْفَّرَ الوجه هكذا يا أبا نواس ؟

وكان هذا الصديق من أقبح الناس وجهًا .

فقال أبو نواس :

ـ رأيتكَ فذكرت ذنوبى !

فقال له :

ـ وما علاقتى أنا بذنوبك ؟

قال :

ـ خِفْتُ أَنْ يعاقبنى الله فيمسخنى قردًا مثلك !

* * *

الظبى : معرفة أم نكرة ؟

اقترب « أبو العباسى أحمد بن يحيى » الذى كان إمامًا للنحو فى عصره ، من أبى نواس ، وهو جالس عند أحد الورّاقين ببغداد ، وسأله:

- يا أبا نواس . . الظبى : معرفة أم نكرة ؟

فأجابه :

- إن كان مشويًا وموضوعًا على مائدة الطعام أمامنا ، فهو بلاشك معرفة . . وإن كان طليقًا فى الصحراء ، فهو نكرة .

فقال له أبو العباس :

- واللهِ ما في الدنيا أَعْرَفُ منك بالنحو يا أبا نواس ؟

* * *

أتـريـدون حجة أَبْيَـن مـِنْ هـذه ؟!

كان أبو نواس جالسًا وسط جماعة من الناس ، بفناء داره ، حين بادرهم بالقول :

ـ والله الذي لا إله إلا هو إنَّ الخراء لحلوٌ .

وكررها ثلاث مراتٍ .

فقيل له :

ـ نشهد أنك يا أبا نواس لا تأكله ، ولم تتذوقه من قبل ، فكيف عرفت ذلك إذن ؟!

قال :

ـ رأيت الذباب يسقط على النبيذ الحلو ، ولا يسقط على الحامض ، ويقع على العسل ، ولا يقع على الخل ، وأراه على الخراء أكثر منه على التمر ! . . أفتريدون حجة أَبْيَنُ مِنْ هذه ؟!

* * *

قدّمنى الرجل لأحفظ مكانه !

ضرط إمام فى الصلاة ، فخرج من الصلاة ، وكان الذى يقف خلفه مباشرة « أبو نواس » . . فجذبه ، وقدّمه ليؤم الناس وذهب إلى حيث مكان الوضوء ، ليجدد وضوءه .

وظن « أبو نواس » أنه لا يجوز أن يتابع الصلاة ـ إذ كان حديث العهد بالصلاة ـ فوقف ينتظر الإمام . ولّما طال وقوفه دون أن يتابع الصلاة ، تنحنح الناس خلفه ، فالتفت إليهم وقال :

ـ مالكم ؟! . . إنما قدّمنى الرجل لأحفظ مكانه حتى يرجع !

★ ★ ★

ارجع إلى شراب الحمير خيرٌ لكَ !

دخل أبو نواس على هارون الرشيد ، فاستنشده ، فأنشده نِتَفًا من قصائده ، ولما انتهى قال له :

ـ يا مولاى قد يبس حلقى فمُرْ مَنْ يسقينى .

فقال الرشيد :

ـ اسقوه ماء .

فقال أبو نواس :

ـ شراب الحمير ، وهو عندنا كثير !

فقال الرشيد :

ـ اسقوه لبنا .

فقال أبو نواس :

ـ عن اللبن فُطمتُ !

فقال الرشيد :

ـ فاسقوه عسلاً .

فقال أبو نواس :

ـ شراب العليل !

فقال الرشيد :

ـ فماذا تريد ؟!

قال :

ـ أريد نبيذًا يا أمير المؤمنين ؟

فقال الرشيد :

ـ ويلك . . ومتى عهدتنا نسقى الخمر ؟! . . ثكلتك أمك . . والله لولا قليل من الوُدِّ لكَ عندنا لفعلت بك ما يجعلك تندم على يوم جئتنا وأنشدتنا .

فخرج أبو نواس من عنده مُحنّقًا ، وفى الطريق لقيه واحد من حاشية الرشيد ، سمع بما جرى بينه وبين الخليفة ، فبادره أبو نواس قائلاً:

ـ ما بال أميركم ؟ . . استنشدنى ، فأنشدته حتى جف حلقى . . وطلبت منه أن يسقنى نبيذًا ، فرفض . . فهل تسقنى أنت ؟

فسقاه الرجل كأسًا . فقال له :

ـ اعطنى آخر .

فأعطاه . . فقال له :

ـ تركتهما يتعركان فى جوفى . . اسقنى ثالثًا .

فناوله كأسًا ثالثًا . فقال له بعد أن شربه :

ـ وهل تتركني على ثلاث ؟ . . اعدلني برابع .

فقال له وهو يناوله الكأس الرابع :

ـ قد عدلناك برابع . . وجعلناك تمشي على أربع . . فارجع إلى شراب الحمير خير لك .

* * *

أَلَذُّ شىء .. !!

سأل هارون الرشيد ذات يوم جلسائه ، وهو يتسامر معهم ويسامرونه :

ـ أَىُّ شىء ألذُّ ؟

فأجابه « أبو نواس » :

ـ أأصابكَ جربٌ مرةً وحككته يا مولاى ؟! . . هذا والله ألذ شىء!

فقال له هارون الرشيد :

ـ أَجْرَبَ الله جلدك يا ثقيل الدم ، ولا شفاك منه أبدًا .

* * *

أكره أن أُثقِلَ على ربى ..

سُمِعَ « أبو نواس » يقول فى دعائه بعد الصلاة :

- « اللهم اغفر لى وحدى » .

فقيل له :

- لم لا تُعَمِّمْ فى دعائك ليشمل آخرين .. فالله واسع المغفرة .

فقال :

- أكره أن أُثْقِلَ على ربى !

* * *

سلنى حاجتك يا أبا نواس !

دخل أبو نواس على هارون الرشيد ، وهو مُطْرِقٌ ويبدو عليه الحزن، ولما رآه هارون الرشيد بادره بالسؤال :

ـ إيه يا أبا نواس . . أراك مكتئبا وحزينًا . . هل مات لك عزيزٌ ، أم ضاعت آمالك فى إمارة الشعر ؟!

فقال أبو نواس :

ـ يا مولاى . . أطال الله عمرك . . مات كلبى الذى كان يرافقنى فى الصيد . . وكان يلهمنى الشعر أحيانا !

فقال هارون الرشيد :

ـ لا تحزن . . قد أمرنا لك بكلب يرافقك فى الصيد ويلهمك الشعر! . . فهل لك حاجة أخرى نقضيها لك ؟

فقال أبو نواس :

ـ نعم . . غلام يقود الكلب ! . فقد سئمت الغلام الذى لدىَّ .

فقال الرشيد :

ـ ولكَ هذا أيضًا . . وماذا بعد ؟!

فقال أبو نواس :

ـ وجارية تطبخ لنا ما نصيده .

فقال الرشيد :

ـ وهذه أيضًا قد أمرنا لك بها .

فقال أبو نواس :

ـ دار نأوى إليها ونبيت بها .

فقال الرشيد :

ـ وهذه أيضًا قد أمرنا لك بها .

فقال أبو نواس :

ـ شىء أخير يا مولاى . .

فقال الرشيد :

ـ قُلْ وخلّصنا .

فقال أبو نواس :

ـ المعاش الذى أعيش به .

فقال الرشيد :

ـ حسنًا . . لك خمسمائة دينار عند طلوع قمر كل شهر ، أهناك شىء آخر ؟

ـ نعم يا مولاى . .

ـ ماذا ؟

ـ أن تزوجنى معشوقتى ومُلهمتى وربة شعرى دلال !

ـ قد زوّجناك منها يا شاعر ، وأمهرناها عنك عشرة آلاف دينار .

وانصرف الآن ، وإلا . . .

فاندفع أبو نواس إلى القول :

ـ لا . . . لا يا مولاى . . لا تقل . . . سأنصرف . فضحك الرشيد وضحك كل من كان بمجلسه .

* * *

لا بأس عليَّ غير أن الأسد ...

رافق أبو نواس جماعة من أصدقائه فى رحلة صيد بالصحراء ليصطادوا غزلانًا . وبينما كانوا مشغولين بصيدهم ، إذا بأسد هصور يتعرّض لأبى نواس ، ويوقعه على الأرض ، ويبرك فوقه ، ويكاد يفترسه، لولا أن أصدقاءه جميعهم تشجعوا وهجموا على الأسد حتى تركه وفرّ هاربًا !

ثم قالوا لأبى نواس :

ـ كيف أنت الآن ؟!

فقال لهم :

ـ لا بأس عليَّ . . غير أن الأسد خرا فى سروالى !

* * *

ما جوابك عن سجدتى السهو ؟!

أرسل إمام المسجد مَنْ يخبر المصلين ، بتوعكه وعدم استطاعته المجيء إلى المسجد ليصلى بالناس جماعة ، بعد أذان المغرب . فنهض أبو نواس ، ليصلى بالناس ، وطَوَّل في صلاته ، وقبل أن يسلِّم وينهى الصلاة ، كبَّر وسجد سجدتى سهو . . ولم يكن قد سها !

فقيل له بعدها :

ـ يا أبا نواس . . والله لقد أنكرنا عليك طول الصلاة ، فما جوابك عن سجدتى السهو ، وقد لاحظنا أنك ما سهوت فى شيء ؟!

فقال لهم :

ـ لقد تذكّرت أنى صلّيت بكم على غير وضوء ،فسجدت للسهو !

* * *

فتلك يا سيدى لنا !!

قال أبو نواس لصاحبه الذى كان يجلس معه ويسامره :

ـ رأيت البارحة فى منامى كأنى دخلت الجنة ، ورحت أتجوّل فيها ، ورأيت جميع ما فيها من قصور .

فقال صاحبه :

ـ ولمن هذه القصور ؟

قال :

ـ لنا بالطبع !

وكان خادم أبى نواس يقف قريبا منهما ويسمع حديثهما ، فسأل مولاه :

ـ أصعدت إلى الغرف التى بتلك القصور يا سيدى ؟

فقال أبو نواس :

ـ لا . . رأيت القصور من الخارج فقط .

فقال الخادم :

ـ فتلك يا سيدى لنا !

* * *

سكران .. والله ... أنا سكران !

خرج « أبو مازن » في وقت متأخر من الليل ، من موضع كان ساهرًا فيه مع بعض أصدقائه ، وخاف أن يمضى فى الطريق وحده بالليل، ليعود إلى داره البعيدة ، وكانت دار أبى نواس قريبة منه ، فقال فى نفسه :

« لو دققت على باب أبى نواس ، فبت عنده الليلة فى أى موضع من داره أو فى الدهليز ، ولا ألزمه من مؤنتى شيئا ، حتى يطلع الصباح، فأكون أول السائري بالطريق » .

فدق باب أبى نواس ، دق الـواثق .. ومـن ناحيـته ، لـم يشـك أبو نواس بأن الدق على بابه ، فى تلك الساعة من الليل هو دق صاحب هدية ، فسارع بالنزول من فوق سطح داره ، حيث كان يرقد ، وفتح الباب .. فوجد قبالته أبا مازن .. وكما لو كان قد أبصر ملك الموت ، وجم واغتمّ !

ولما رأى أبو مازن صاحبه أبا نواس واجمًا ومغتمًا ولا ينطق ، عاجله بالقول :

ـ إنى خِفْتُ مِنَ العسس وقطاع الطرق ، فملت إليك لأبيت عندك،

حتى الصباح .

فتظاهر أبو نواس بأنه سكران وقال :

ـ سكران . . والله . . أنا سكران .

فقال له أبو مازن :

ـ كن كيفما شئت . . نحن فى أيام الفصل . . لاشتاء ولا صيف . فلا أحتاج إلى سطح أنام عليه وأحرمك منه ، كما لا أحتاج إلى غطاء أتدفأ به وأجعلك تؤثرنى به ، وأنا كما ترى يداعب النوم جفونى ، ولا أريد طعامًا أو شرابًا ، كل ما أريده مكان أغفو فيه إغفاءة واحدة ، وحتى وإن كانت فى الدهليز ، ثم أكون أول المبكرين ، وأول السائرين على الطريق.

فقال أبو نواس ـ وقد أرخى عينيه وفكيه وعوج لسانه :

ـ سكران والله . . والله أنا سكران . . ولا أدرى أين أنا . . ولا أعرف من تكون ، ولا أفهم ما تقول ! •

ثم أغلق الباب فى وجهه ، ودخل ، وهو لا يشك بأن صاحبه انخدع بمظهره ، وقَبِلَ عذره !.

★ ★ ★

وهل أصلى ركعتين بين اللقمة والأخرى؟!

قال أبو نواس لصاحبه يومًا :

ـ يا أخى . . لِمَ لا تدعونى يومًا على الغداء ؟!

فقال له :

ـ لأنك جيد المضغ . . سريع البلع . . ما أن تضع فى فمك لُقمة حتى تهيئ أخرى وتدسها إلى جانب أختها ، وتبلعهما معًا !

فقال أبو نواس :

ـ وهل تريدنى إذا أكلت عندك أن أصلى ركعتين لله بين كل لُقمة وأخرى ؟!

* * *

يكتب للمستقبل .. !!

دخل أحدهم على « أبى نواس » ، فوجد أمامه كومة من الأوراق فيها أشعار ، بعضها فى رثاء (أم جعفر) وبعضها فى رثاء جارية أبى زيد .. وبعضها فى رثاء رجال آخرين ونساء لا يعرفهم : إلا أنه يعرف أنهم لم يموتوا بعد ، فأصابته دهشة ، فقال له :

ـ ويحك يا أبا نواس ... ما هذا ؟! .. إنهم لم يموتوا بعد !

فقال له :

ـ يا أخى .. تحدث الحوادث ، وينفذ قضاء الله ، ويموت الناس فجأة ، ويطالبوننا بأن نقول شيئًا فى رثائهم ، ويستعجلوننا ، ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد من الكلام ؛ فلذلك نحن نستعد من الآن ، ونُعِدُّ لهم الأشعار ، حتى إذا ما حدث الحادث ، ومات الميت ، أظهرنا ما قلناه فيه قديمًا ، فيبدو وكأنه قيل حديثًا .

* * *

ضاع شعرى على بابكم !

كان لهارون الرشيد جارية حسناء ، يهيم بها غرامًا ، كانت جذابة الملامح ، خفيفة الروح ، رغم أنها كانت سمراء اللون ، كانت تدعى «خالصة » .

ومن شدة إعجاب هارون الرشيد بها ، كان لا يفارقها ليلاً ولا نهارًا. وكان يهبها كل نفيس وغالٍ من الجواهر والآلئ . وذات يوم دخـل أبو نواس على هارون الرشيد فى مجلسه وكان إلى جواره جاريته « خالصة » التى كانت تزين صدرها بعقدٍ من اللؤلؤ ، أهداه لها هارون الرشيد . وبادر أبو نواس بإلقاء قصيدة مدح طويلة على مسامع الرشيد. إلا أن الرشيد كان منشغلاً عنه بالتطلع إلى وجه خالصة وبمداعبتها.

فاشتد الغيظ بأبى نواس ، وانصرف من مجلس الرشيد ، وهو فى غاية الحقد والوجد على خالصة.

وأثناء انصرافه مَرّ بباب الجناح الذى تسكن به « خالصة » فكتب على الباب بقطعة حجر جيرى كانت معه :

لقد ضاع شعرى على بابكم كما ضاع عقد على خالصة

وصباح اليوم التالى مَرّ أحد الخدم بالباب ، فوجد مكتوبًا عليه ذلك

البيت من الشعر ، فسارع إلى إبلاغ « خالصة» به ، فلم تصدقه حتى رأته وقرأته بنفسها ، فهاجت وماجت ، وقالت:

ـ والله ما يفعل ذلك إلا أبا نواس !

وراحت تبكى وتولول . . ولما جاءها هارون الرشيد ليراها كعادته كل يوم ، وجدها حزينة مكتئبة ، فسألها عن سبب حزنها ، فقالت :

ـ ألم تر يا مولاى المكتوب على الباب . . والله لا يجرؤ على فعل ذلك إلا صاحبك الشاعر أبى نواس !

فقال الرشيد :

ـ قد تكونين على حق . . لكن دعينا نتأكد !

وأمر حراسه بأن يحضروا أبا نواس فى الحال .

وأثناء اقتياد الحرس له ؛ وكان قد علم منهم بسبب القبض عليه ، وضع إصبعه فى فمه وبلله بلعابه ، ومسح ذيل العين الموجودة فى كلمة (ضاع) فى شطرى بيت الشعر ، فصارت (ضاء).

ولمّا وقف أمام هارون الرشيد . . وبادره الرشيد ـ وهو غاضب بالقول :

ـ ويحك يا أبا نواس . . ما هذا الذى كتبته على باب خالصة؟!

أجابه :

ـ ماذا تقصد يا مولاى؟!

فقال الرشيد :

ـ بيت الشعر الذى تهجوها به !..

فقال أبو نواس :

ـ حاشا لله مولاى أن أكون قد كتبت شيئًا أهجوها به ؛ إن ما كتبته كان مدحًا لها ! وليتفضل مولاى ويرى . فمضى معه الرشيد ، وهو يتمتم :

ـ والله لئن لم يكن ما تقول ، فأنت مقتول .

ولما وصلا إلى الباب ، فوجئ الرشيد بالشعر المكتوب :

لقد ضاء شعرى على بابكم كما ضاء عقد على خالصة

فتهلل وجه الرشيد ، وأمر له بألف دينار.

فهمس له بعض الحراس :

ـ يا أمير المؤمنين .. لقد قلب العين همزة .

فقال الرشيد :

ـ أعرف.. ولهذا كافأته .. فرأسه غالية علىّ ، كما أن خالصة غالية علىَّ!!

★ ★ ★

أرأيتَ أم سمعت ؟!

كان أحدهم يجلس إلى جانب « أبى نواس » يستمع إلى شعره ، حين خرجت من « أبى نواس » ريح مُنْكرة . فظن الرجل أنها أفلتت منه ، دون أن يستطيع كبحها . فاحتملها وسكت ، واستمر فى جلوسه إلى جانبه ، يستمع إلى الشعر ، إلى أن أعادها أبو نواس مرة ثانية ، ثم مرة ثالثة .

فتشجَّع الرجل وقال له :

ـ يا أبا نواس . . حفظك الله . . ما هذا؟!

فقال له :

ـ أرأيت أم سمعت ؟

ـ فقال الرجل :

ـ بل سمعت . . !

فقال له أبو نواس :

ـ لا تصدِّق حتى ترى . . فكل ما سمعته ريح!

* * *

كيف أشبع ؟!

نزل أبو نواس ضيفا على أحد الأعراب ، فقدّم له الأعرابى خبزًا وملحًا ليأكله ، فأكل أبو نواس على مضضٍ ، وعندما سأله الأعرابى:

- أشبعت يا أبا نواس ؟

فقال أبو نواس :

- لا . . لم أشبع !

فقال له الأعرابى :

- عندك حق . . فكيف تشبع وأنت لم تذكر اسم الله قبل أن تأكل؟!

فقال أبو نواس :

- وكيف أذكر اسم الله الطيب على خبزك اليابس وملحك الخبيث؟!

★ ★ ★

وأنتَ لِمَ تُشفقْ عليه هكذا ؟!

بعد أن شبع القوم أكلاً وشُربًا ، وُضِعَ أمامهم على مائدة الطعام جدى صغير مشوى .

فلم يمسه أو يقترب منه أحد من المدعوين ،استحياءً من صاحب الدعوة :« المغيرة بن عبد الله » .

وما هى إلا لحظات ، حتى مَدّ أبو نواس يده ودسّ أصابعه فى لحم الجدى ، وراح ينهشه بجرأة شديدة .

فنظر إليه المغيرة بن عبد الله ، وقال :

ـ يا أبا نواس . . أراك تنهش الجدى بعنفٍ وقسوة . . إيه ؟ . .هل نطحتك أمه من قبل ، ولذلك تثأر منه ؟!!

فقال له :

ـ وأنت لِمَ تشفق عليه هكذا . . هل أرضعتك أمه؟!!

★ ★ ★

درهم وربع للركعة !

دخل أبو نواس المسجد ليصلى الظهر ، وكان معه كيس به خمسة دراهم ، وضعه أمامه وهو يصلى ، حتى لا يسرق .

ورآه الذى يصلى إلى جانبه ، فانتهز لحظة سجوده ، وأخذ الكيس ودسَّه فى جيبه . .

ولمّا أتم أبو نواس صلاته ، لم يجدْ كيس الدراهم . . فانصرف وسلَّم أمره لله !

وعلى باب المسجد سأله رجل آخر :

ـ هل انتهيتم من الصلاة ؟

فأجابه :

ـ نعم . . انتهينا من الصلاة . . درهم وربع للركعة . . فادخل إن شئت !

* * *

أهى جارِيَتك .. أم جاريتى ؟!

كان لأبى نواس جارية تُدْعى « ظمياء » ، وكانت لأبى نواس مشكلة فى نطق حرف الظاء ، فكان كلما ناداها ، يقول : يا ضمياء.. (بالضاد وليس الظاء).

وذات يوم سمعه ابن المقفع ، الذى كان يجاوره فى السكن ، وكان متفقهًا فى النحو ، فقال له :

ـ يا أبا نواس . . . قل يا ظمياء . . بالظاء ، وأخرج فيها لسانك !

فوافقه أبو نواس ، وأومأ له برأسه . . .

وعاد ونادها : يا ضمياء ، كما تعوَّد .

ولما راجعه ابن المقفع مرة أخرى ، قال له :

ـ يا أخى . . أهى جاريتك أَمْ جاريتى ؟!

* * *

ألا تشترون منى غلامًا فارسيًا ؟!

خرج هارون الرشيد يومًا للصيد ، يصحبه حاشيته وخدمه وبعض ندمائه ، ومن بينهم أبو نواس .

ولما وصلوا إلى مكان الصيد ، نصب الخدم الخيام وهيأوا المكان ؛ وجلسوا ينتظرون عودة أميرهم ؛ ظافرًا بالصيد الثمين . وكان أبو نواس يجلس ، وينتظر معهم ، إذ كان لا يجيد الصيد ، ولا يأمن على نفسه من ركوب الخيل والانطلاق به فى الصحراء .

ولما انتصف النهار جاع أبو نواس جوعًا شديدًا ، فنهض من مكانه الذى يجلس به ، وأقبل على (فرحات) ، طاهى الأمير وقال له :

ـ أطعمنى الآن يا فرحات ، فقد جعت جوعًا شديدًا .

فقال له فرحات :

ـ أنا لا أطعم أحدًا قبل أن يعود أميرنا من الصيد ! فاغتاظ منه أبو نواس، وقال له :

ـ أطعمنى وإلا . . أنت تعرفنى . . سأوقع بك ، وأفعل معك فعلةً تندم بعدها .

فقال له فرحات :

ـ افعل ما يحلو لك !

فتركه أبو نواس وانصرف ، وهو يفكر فى الكيد له ، إلى أن وقع نظره على بعض الأعراب ينصبون خيامهم بالقرب منهم ، فذهب إليهم، وقال :

ـ ألا تشترون منى غلامًا فارسيًا يخدمكم ويطهى لكم الطعام.

فقال له كبيرهم :

ـ نشتريه منك بهذه الناقة .

فعاد أبو نواس إلى القول :

ـ سيقول لكم أنا حر . . فلا تصدقوه . وإلا إنْ كنتم ستصدقونه ، فأخبرونى ، كى لا أبيعه لكم ، وأبحث عن غيركم ليشتريه .

فقال له كبيرهم :

لن نصدقه ، فقط سلِّمه لنا . .

فقال لهم :

ـ تعالوا معى . .

وأمسك بمقود الناقة وساقها خلفه ، فى حين تبعه جماعة الأعراب ، إلى أن وصلوا إلى الخيمة التى كان فرحات جالسًا بها ، يهيئ الطعام لمولاه الأمير ، فأشار لهم أبو نواس عليه ، ووقف ينظر إلى فرحات ،

والشماتة تبدو فى عينيه :

فتقدم الأعراب منه وأمسكوه ، قائلين له :

ـ هيا يا مُبارك . . تعال معنا . . لقد باعك لنا مولاك فصاح بهم :

ـ ويلكم . . أنا حر لا أباع . . وهذا الذى قال لكم أنه مولاى منافق وكذاب ولا شأن له بى .

فقال له كبيرهم :

ـ هيا يا غلام . . لا تماطل ولا تضيِّع وقتنا . . فما تقوله لنا ، قد حذرنا منه مولاك قبل أن نشتريك . . فهيا ، وإلا أخذناك قسرًا وضربناك بالسوط .

فأبى فرحات أن ينصاع لهم ، فهجموا عليه ولفّوا حبلا حول عنقه، جروه منه ، كما تجر البهائم ، بينما كان هو يصيح قائلا :

ـ اتركونى . . إن هذا الخبيث الذى باعنى لكم كاذب وفاسق وليس له أى شأن هنا .

وراحوا يسحبونه بالقوة ، وهو يتشبث بمكانه ولا يريد أن يتزحزح عنه.

وبينما هم كذلك ، إذا بهارون الرشيد وحاشيته المرافقة له يقبلون عليهم .

وسألهم هارون الرشيد عن خبرهم وعن السبب الذى من أجله يلفون حبلاً حول عنق طاهيه فرحات ، ويجرونه منه.

فقال له كبيرهم :

ـ لقد اشتريناه من مولاه ، هذا الذى يقف هناك وأخذ منا ثمنا له تلك الناقة ، التى يمسك بمقودها فى يده . فضحك هارون الرشيد ، وقال:

ـ لا بارك الله فى أبى نواس . . اتركوا الغلام وخذوا ناقتكم وزيادة ألف درهم . . إنه حر لا يُباع . . وكلنا شهود على ذلك .

ثم نظر هارون الرشيد إلى أبى نواس ، وقال :

ـ لماذا فعلت به ذلك يا أبا نواس؟

فقال أبو نواس :

ـ الجوع يا أمير المؤمنين . . اشتد بى الجوع ، ورفض أن يطعمنى، فأقسمت أن أنتقم منه وأغيظه.

فضحك هارون الرشيد ، وأنعم على كل منهما بألف درهم وصرفهما بعد أن أصلح بينهما.

* * *

والله لولا حرمة الميت لنبشت عليه القبر ..

مرض خادم « أبى نواس » ، ولم يكن هناك مَنْ يرعاه أو يعتنى به ، فأرسل إلى أبى نواس ، ولمّا أتاه قال له :

ـ يا مولاى . . ليس لى وارث غيرك ، كما تعلم . . فلا زوجة ولا ولد . . وها هنا ثلاثة آلاف درهم مدفونة بأرض الغرفة ؛ فإذا مِتّ فخذها !

فقال أبو نواس لمن كان يصحبه ، حين خرج من عنده :

ـ والله ما أرانا إلا قد أسأنا لهذا الخادم ، وقصّرنا فى حقه .

وبعث إليه بمن يخدمه ويرعاه ، حتى مات ، فاشترى له كفنًا غاليًا، كفّنه به ، وصلّى عليه ودفنه.

وبعد الجنازة ، ذهب إلى داره ، وحفر أرض الغرفة كلها ، عساه يجد شيئًا مدفونًا بها . لكنه لم يجد شيئًا :

لا ثلاثة آلاف درهم . . ولا درهم واحد!

فعاد مُحْبَطًا ، ولمّا جاءه تاجر الأكفان ، ليأخذ منه ثمن الكفن ، قال له ـ والشرر يتطاير من عينيه:

ـ والله لولا حرمة الميت لنبشت عليه القبر وجردته من كفنك اللعين!

★ ★ ★

إلى أين يا أبا نواس ؟!

أنشد الخليفة « المأمون » قصيدة أمام مدعويه وحاشيته ، وكان جالسًا بينهم الشاعر أبو نواس .

وبعد أن انتهى من إلقاء القصيدة ، نظر إلى أبى نواس وسأله :

ـ هل أعجبتك القصيدة يا شاعر ؟ . . أليست بليغة ؟.

فأجابه أبو نواس :

ـ لا أشم بها أية رائحة للبلاغة !

فغضب المأمون وسرَّها فى نفسه ، ثم مال على حاجبه وقال له :

ـ بعدما أنهض وينهض المدعوون وينفضّ المجلس ، احبسوا شاعرنا فى الإصطبل مع الخراف والحمير .

وقد كان ! . . وظلّ أبو نواس محبوسًا فى الإصطبل شهرًا كاملاً . وبعدما أفرج عنه وخرج من الإصطبل ، عاد إلى مجلس الخليفة . . وعاد الخليفة إلى إلقاء الشعر . وقبل أن ينتهى من الإلقاء ، نهض أبو نواس ، وهَمّ بالخروج من المجلس ، فلمحه الخليفة ، فسأله :

ـ إلى أين يا شاعر ؟

فأجابه أبو نواس:

ـ إلى الإصطبل يا مولاى !

* * *

المراجـــع

١ ـ العقد الفريد ، ابن عبد ربه .

٢ ـ الأغانى ، أبو الفرج الأصفهانى .

٣ ـ الكامل فى الأدب ، المبرّد النحوى .

٤ ـ نثر الدر ، الآبى.

٥ ـ مجانى الأدب ، الأب لويس شيخو .

٦ ـ المستطرف فى كل فن مستظرف ، الأبشيهى.

٧ ـ أخبار الظرف والظرفاء ، ابن الجوزى.

٨ ـ كناشة النوادر ، عبد السلام هارون.

٩ ـ نكت الهميان فى نُكتْ العميان ، الصفدى.

١٠ ـ ثمرات الأوراق ، ابن حجة الحموى.

١١ ـ كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكرى.

١٢ ـ أبو نواس ، العقاد.

١٣ ـ ديوان أبى نواس ، المكتبة الشعبية / بيروت.

* * *

الفهـــرس